لمحة عن آل بن عزوز البرجي : ريادة علمية وجهاد متواصل

دة./ **نفيسة دويدة**

المدرسة العليا للأساتذة- ببوزريعة

الملخص:

تبحث هذه الدراسة البيوغرافية مسيرة بعض أفراد عائلة **ابن عزوز**، وتتناول عرضًا لجوانب من اسهاماتهم الدينية والعلمية يمكن من خلالها ملاحظة التميز والتفوق الواضحين في مسار هؤلاء، وكذا توارثهم على مدى أجيال راية الجهاد المعلنة ضد القوى الأجنبية، وتبين كذلك اقتحامهم مجالات كثيرة في العلوم والفنون والآداب، وسنخص بالدراسة الجد الشيخ **محمد بن عزوز** وابنيه : **الحسن ومصطفى**، والحفيد **محمد المكي**.

الكلمات المفتاحية :

آل ابن عزوز، الطريقة الرحمانية، العزوزية، التصوف، زاوية البرج، زاوية نفطة، تونس، اسطنبول.

• أصول عائلة ابن عزوز :

تعود اصول عائلة ابن عزوز في امتداد نسبها إلى النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، والتي استقر بعض أفرادها منذ خمسة أجيال في منطقة الزيبان بالجنوب الشرقي للجزائر[1]. وتميزت الأسرة بباعها في مجالات الإصلاح الديني والإجتماعي، وفي حمل لواء الجهاد ضد الأعداء، وبريادة أبنائها في كثير من فنون الأدب والشعر والفقه والدعوة والفكر، ومساهمتهم في السياسة كذلك. وقد ارتبط ذكر العائلة خاصة بالطريقة الرحمانية التي قارعت الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله الجزائر، واشتهر آل ابن عزوز بنشرهم تلك الطريقة حتى أنها نسبت اليهم، "**تلك الطريقة التي أصبح لها أتباع ومريدون لا يحصون ؛ حتى أنه قلما يوجد في القطر**

1 -انظر شجرة العائلة في : عبد الرحمان بن الحاج : **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز**، دار النجاح، الجزائر، د. ت، ص 2.

الجزائري الشرقي، والتونسي، وطرابلس الغرب، وابن غازي من ليس منتسبًا لطريقتهم بواسطة او وسائط ؛ بل كادت تسمى الرحمانية بالعزوزية"[1].

- **محمد بن عزوز (1757- 1818م) :**

ينسب آل عزوز إلى جدهم الأول : **محمد بن عزوز** الذي ولد حوالي سنة 1170هـ/ 1757م، بقرية البرج ؛ بضواحي طولقة ؛ بمنطقة الزاب (بسكرة)، في الجنوب الشرقي للجزائر على ما يبدو موطن الأسرة والأسلاف منذ فترة، والتي أسسوا بها زاوية لنشر الطريقة الرحمانية.

نشأ محمد بن عزوز وسط اسرته، وتولى تربيته والده الشيخ سيدي احمد بن يوسف، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى منه تحصيله العلمي حتى تضلع في المعقول ؛ لكنه رغب في الاستزادة من علم الباطن ؛ فارتحل لزيارة الشيخ **محمد بن عبد الرحمان الازهري** (ت 1208هـ/ 1793م) ؛ صاحب الطريقة الرحمانية التي أخذ مبادئها عنه، فأوصاه أن يلتحق بخدمة الشيخ **عبد الرحمان باش تارزي** بقسنطينة (وقد سمى احد أبنائه عليه)، ولازمه محمد بن عزوز فعلاً إلى غاية وفاته[2].

استكمل محمد **ابن عزوز** نشر مبادئ الطريقة الرحمانية بمنطقة الجنوب الشرقي للجزائر ؛ حيث أسس زاويته الشهيرة بمسقط رأسه بالبرج بهدف نشر الدين الاسلاميوالعلم. ولا يعد **محمد ابن عزوز** في رأي الأستاذ ابي القاسم **سعد الله** مقدمًا للرحمانية في الجنوب فقط ؛ بل في الجريد التونسي أيضًا. كما أنه نظرا لشهرته، وكثرة أتباعه، وامتداد نفوذه ؛ بدا وكأنه مؤسس لطريقة جديدة : العزوزية[3]. وله الفضل في اشتهار صيت زاوية **البرج**، ومنافستها لزوايا أخرى عريقة ؛ كزاوية **طولقة** و**الهامل** ؛ مع ملاحظة الاختلافات الموجودة بينها في الولاء، والمنهج، والوسائل[4].

---

1 -أبو القاسم الحفناوي : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج02، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص 477.
2 -انظر : الحفناوي، المصدر نفسه، ص 475.
3 -أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج04، ط خاصة، ص 146.
4 -سعد الله، المرجع نفسه، ج04، ص 146. وقد اشار البعض إلى ان اجداد اسرة **ابن عزوز** الاوائل سكنوا بالغرب الجزائري، ثم انتقلوا إلى الزيبان، ولم يُذكر سبب هذا الارتحال، ولا فترته ؛ انظر : **موسوعة أعلام الجزائر (1830- 1954م)**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 116.

وكان **محمد بن عزوز** البرجي عالمًا، وذا شأن كبير في علوم الشريعة الإسلامية، ووصف بأنه كان صوفيًا زاهدًا، فترك العديد من التلامذة والأتباع والمريدين، وذاع صيت زاويته في الجزائر وخارجها ؛ ذلك انه اشتهر بالتقوى والصلاح، وبالهيبة والوقار على تواضع. كما أنه ترك مؤلفات عدة اشتهر منها رسالته في التصوف المسماة "**قواطع المريد**"، أو "**رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه واصوله وأمهاته**"، والتي تضمنت قصيدة مما جاء فيها :

الحمد لله الـــــــذي ألهمنا نظـــم اصول وقواطع لنا. .

سميتها رســـــــــالة المريد فيها له من كل ما مفيد. .

قواطع المريد فـــــاعلم شره رؤيته اعمـــــاله مقبـره. .

وضف لها خمس سوالب اتت ارساله جوارحًا قد اودعت

لدى معاصي اللـــه والتصنع بطاعة اللـــه لخلق يمنـع[1].

وكتب ايضًا مجموعة من الرسائل المخطوطة ؛ تبادلها مع معاصريه، منها رسالته لفقهاء زاوية الخنقة، والتي أجابهم فيها عن بعض المسائل الفقهية، ورسالته للشيخ محمد بن عبد الرحمان **الازهري**، وكذا رسالة الشيخ عبد الرحمان **باش تارزي** اليه. . الخ[2].

وقد تتلمذ على يد الشيخ **محمد بن عزوز** العديد من الشيوخ، منهم : الشيخ **علي بن عمر**، صاحب زاوية طولقة (ت 1842م)، الشيخ **المختار بن خليفة**، صاحب زاوية أولاد جلال (ت 1276هـ)، الشيخ **علي الشؤوني** صاحب زاوية سيدي خالد، الشيخ **عبد الحفيظ الخنقي**، صاحب زاوية الخنقة (سيدي ناجي) بجنوب الأوراس، وغيرهم[3].

وفي سنة 1232هـ/ 1817م قصد الشيخ **بن عزوز** بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج، ورافقه في تلك الرحلة بعض تلامذته ؛ كالشيوخ : **علي**

---

1 -الحفناوي، المصدر السابق، ص ص 478- 480.

2 -محمد بن عزوز : **قواطع المريد**، جمع وتقديم : كمال عجالي، منشورات ارتيستك، الجزائر، 2007، ص 21- 22.

3 -محمد علي دبوز : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ج01، ط02، ص 144.

بن عمر الطولقي، و**عبد الحفيظ الخنقي**، و**مبارك بن خويدم** البوزيدي[1]. .
ولما رجع اصيب بالوباء الذي كان منتشرًا في الزيبان كلها، وتوفي به سنة 1233هـ/ 1818م[2].

توفي **محمد بن عزوز**؛ لكنه أوصى بخلافته لابنه **مصطفى**[3]، وكان قد خلف أبناء آخرين منهم **الحسن** و**التارزي** و**عباس** و**المبروك** و**محمد المدني**؛ أدركوا بداية توسع قوات الاحتلال الفرنسي، وشارك أكثرهم في المقاومة الشعبية آنذاك، وكان أكبرهم **الحسن** (خليفة الأمير عبد القادر في الجهة الشرقية). وقد هاجر بعضهم رفقة أصهارهم عائلة الشيخ **محمد الخضر حسين**، إلى تونس، واستقروا بجنوبها، وتحديدا بمدينة نفطة من إقليم الجريد[4]. ومن هؤلاء الابناء نذكر :

- **التارزي بن محمد بن عزوز (1812- 1892م) :**

ولد بالبرج سنة 1227هـ/ 1812م، تربى في حجر والده، وتلقى على يديه المبادئ الدينية الاولى، وتتلمذ ايضا على يد مشائخ الزاوية، وبالاخص تلميذ والده الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الذي اخذ عنه الطريقة الرحمانية، واتم سلوكه بها. وبعد وصول القوات الاستعمارية إلى مدينة بسكرة هاجر التارزي وعائلته إلى مدينة نفطة التي كان قد سبقه اليها اخوه مصطفى سنة 1262هـ/ 1847م. واستقر **التارزي** بنفطة حيث مارس بزاوية اخيه التدريس والارشاد، وتخرج على يديه العديد من الطلبة؛ منهم ابن اخيه الشيخ **محمد المكي**، والفقيه **علي بن الحاج نصر** النفطي وغيرهم. لكن الشيخ التارزي بعد رؤيا آمرة قرر الارتحال إلى الحجاز سنة 1310هـ/ 1892م، ولم يدم استقراره بالمدينة المنورة طويلا حتى توفاه الاجل بها في 07 ربيع الثاني من نفس السنة، ودفن بالبقيع.

وصف الشيخ بكثرة التعبد وبالاستغراق في الذكر، ومما جاء في مقدمة كتابه "**الهواتف**" بهذا الخصوص انه "**كان يقطع غالب الليل تهجدا بالقرآن**

1-ذكر الحفناوي ان رحلة الحج تلك رافقت موكب السلطان **مولاي عبد الرحمان** قبل توليه الملك؛ فنشأت بينه وبين الشيخ **ابن عزوز** صداقة انتهت بدعاء هذا الاخير للسلطان بالولاية، وهو ما حدث فعلا مباشرة بعد العودة إلى المغرب. انظر : المصدر السابق، ص 476.

2- ذكر **الحفناوي** تاريخين متقاربين لوفاته : 1232 و 1233هـ. انظر : المصدر السابق، ص 475 و476.

3- وكان قد عهد بتعليمه للشيخ **علي بن عمر**، وتزوج مصطفى ابنة هذا الأخير **ذخيرة**. (انظر : سعد الله، المرجع السابق، ج04، ص 147- 148).

4 -لم تتوفر لنا ترجمة وافية عن الابناء الآخرين لمحمد **بن عزوز**، لذلك لجأنا اعطاء لمحة عن سيرة الاخوين : **التارزي** و**المبروك** انطلاقا من المعلومات المنقولة عن حفيد المترجم لهما الشيخ **الحاج عزوزي التارزي**، والمنشورة بموقع العائلة الالكتروني.

العظيم، وتفهما في معانيه، وغوصا في غامض اسراره، لا يدع التهجد ولو في السفر والمرض، مستغرقا في الاذكار ممتلئا بالأسرار. ". ترك الشيخ التارزي بعض المؤلفات والرسائل مثل كتابه "الهواتف"، و"رسالة في مسألة الهام الأولياء"، بالاضافة إلى قصائد في التصوف، وتهذيب النفس والاخلاق، وقد جمع بين فن الشعر والادب النثري[1].

• **المبروك بن محمد بن عزوز (1815- 1886م) :**

ولد في شعبان 1231هـ/ 1815م ببلدة البرج، تربى في كنف والده الشيخ محمد بن عزوز، وبعد وفاة هذا الاخير تولى رعايته اخوه **التارزي**، واستطاع **المبروك** ان يحفظ القرآن الكريم في حداثة سنه، وبدأ يتبع مسار أبيه واخوته في طلب العلم، والتفقه في شؤون الدين، فاخذ الفقه والتفسير والحديث، وفنون اللغة العربية وعلم الكلام عن اخيه **التارزي**، واخذ الورد الرحماني عن الشيخ **علي بن عمر** الطولقي، واتم سلوكه على يديه (بوصية من والده). وقد عايش **المبروك** بداية الاحتلال، وكيفية توسعه في الجزائر، ولما اشتد ضغط القوات الاستعمارية في مواجهة المقاومة الشعبية هاجر آل ابن عزوز طلبا للامان إلى أماكن متفرقة، فقصد **المبروك** مدينة ورقلة، ثم الأغواط حوالي سنة 1850م، واستقر بهذه الأخيرة ؛ حيث أسس زاويته لتكون مركزا لطلبة العلم، وملتقى للمريدين، ومأوى للمضطهدين.

تميز الشيخ **المبروك** بحسن الخلق، وبالتواضع وشدة الحياء، وكان محبوبا وسط عائلته وتلامذته وأتباعه، وذاعت شهرته، وأصبح مقصدا يلجأ إليه الخصوم للفصل بينهم، ولحل مشاكلهم، وقيل انه كان مستجاب الدعاء - كوالده - كثير التأمل والعبادة. وحظي الشيخ بسبعة أبناء صالحين هم : **محمد الاخضر**، **عبد الحفيظ**، الحاج **عبد القادر**، **عمر**، **الغيشة**، **محمد**، **الأزهري**، واشتهر منهم هذا الأخير (ت 1951م) ؛ خاصة في ميدان الطب والجراحة وتركيب الأدوية. وكان للشيخ **المبروك** الفضل في نشر الطريقة الرحمانية بالاغواط، حيث تخرج على يديه عدد كبير من حفظة القرآن، وجمع حوله الكثير من الأتباع والمريدين الذين جاؤوا من مناطق شتى. توفي في 03 رجب 1305هـ/ 1886م، ودفن بزاويته، وحضر جنازته جمع غفير. رثاه اخوه **محمد** بهذه الأبيات المعبرة، وذلك بعد قدومه رفقة ابنه **المختار** من مدينة القيروان بتونس :

1-http://alfalah. mam9. com, http://albordj. blogspot. com

شمس المعارف في العوالم ظاهرة هذا ضريـــح قد بدا من نـــوره
ودموع عينيه بالبكاء ســـــاهرة قد طال ما نال الرضا من ربه
ويداه بالفضل الجميل عـــــاطرة قد كـان كهفا للأنام وملجأ
ملجأ الخلائق في الدنيا والآخرة نجل ابن عزوز المربي المرتضى
لان له من المعـــــــالي الفـاخرة يا زائرا للقـــــبر قف متأدبـــا[1].

• **الحسن بن محمد بن عزوز (؟ - ؟) :**

نشأ الحسن بمسقط رأسه بواحة البرج، ولم نعرف تاريخ ميلاده بالضبط، لكنه عمل خوجة (كاتبا) لدى **فرحات بن سعيد**[2] لفترة معتبرة من الزمن ؛ كلف خلالها (وتحديدا في فيفري 1832م) بمهمة الاتصال بالقوات الفرنسية (وعلى رأسها الجنرال روفيغو Rovigo) قصد تنسيق العمل معه للحد من نفوذ الحاج **أحمد باي** بقسنطينة، واستمر في عمله إلى أن وقع الأمير **عبد القادر** معاهدة تافنة سنة 1837م، وبعدئذ بدأ يخطط لاستغلال الظروف لصالحه ؛ خاصة أن طموحه لتولي زمام الأمور بالمنطقة كان جليًا. وعليه سارع لإثبات ولائه للأمير الذي عزل فرحات بن سعيد، وعينه خليفة له على إقليم الزيبان سنة 1839م، وأرسل لتنصيبه فرقة عسكرية مرافقة لأخيه مصطفى بن محي الدين لإضفاء الشرعية على تعيينه[3].

واستطاع **الحسن** ؛ في فترة وجيزة ؛ تكوين وتنظيم جيش نظامي على غرار النموذج المركزي للأمير، ودخل في تفاوض مع رؤساء العشائر المعادية له، وفسح المجال واسعًا أمامه بعد انسحاب الحاج احمد باي من المقاومة، وتوجهه إلى الصحراء. كما خاض **الحسن** غمار النشاط السياسي ؛ لأنه راسل بايات تونس ووزرائها بشأن التعاون، وربط العلاقات الودية. وكان متابعًا جيدًا لما يدور بالساحة الجزائرية، ودعا أتباعه للجهاد ؛ الأمر الذي أثار شكوك ومخاوف الأمير تجاهه فعزله في ربيع سنة 1841م

1- http://albordj. blogspot. com. http://alfalah. mam9. com.

2 -فرحات بن سعيد (1786- 1842م) احد خلفاء (مساعدي) الأمير **عبد القادر**؛ على الإقليم الشرقي والصحراء. كان خصما عنيدا للحاج **احمد باي**، وقد قال بحقه هذا الأخير : "**أفسد علي مشاريعي طيلة سبع سنوات في الحرب معه،.. غير أني أريد أن أنصفه فأقول انه كان رجل بارود، وصاحب ذراع، وكان في المعركة يقابل مائة رجل وحدة، ويعتبر بوعزيز بن قانة لمنافسه] إلى جانبه امرأة**". (انظر : احمد باي : **مذكرات**، دار الطباعة والنشر، الجزائر، د. ت، ص 80. وانظر أيضا:
محمد خير الدين : **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت، ج01، ص 60).

3 -موسوعة أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 117.

متحججًا بهزيمته أمام القوات الفرنسية بضواحي المسيلة، وأعاد فرحات بن سعيد مرة أخرى. لكن **الحسن** استغل الوضع، وحاول عبثًا استعادة نفوذه بخوض غمار الحرب ضد جيش الجنرال **نيقريي** Negrier ؛ الذي تمكن من القبض عليه، وتم اقتياده إلى سجن قسنطينة. وقد احتفلت القوات الفرنسية بتلك الهزيمة في حفل كبير بالمناسبة نظم يوم 08 ماي 1842م، تم فيه إطلاق طلقتين من مدفعيتين اغتنمتا في إحدى المعارك، وأُمر الحسن برفع العلم الفرنسي[1].

وقد صدر في حق **الحسن** حكم بالنفي إلى جزيرة سانت مرغريت Saint Marguerite الفرنسية، ورحل إليها فعلاً بتاريخ 20 أوت 1841م، ومكث بها مدة 26 شهرًا، والملفت أن **الحسن** خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الكتابة ؛ خاصة أنه سليل أسرة دينية عريقة، ولأنه تمتع بمستوى تعليمي ووظيفي معتبر، ومما كتبه نجد مجموعة الرسائل التي وجهها لأسرته وأصدقائه، وأيضا للسلطات والشخصيات الفرنسية الكبرى ؛ منها الملك **لويس فيليب** وزوجته، ورجال حاشيته، وأمراء العائلة الملكية، والماريشال **سولت**، والجنرال **بوايي**، والجنرال **سباسياني** في مرسيليا، وحتى للأمير **عبد القادر**. وذهبت بعض التقارير الفرنسية إلى أنه عرض مرارًا قبوله خدمة الحكومة الفرنسية[2].

ووصفته خلاصة تلك التقارير الرسمية ؛ وفقًا لتقرير الجنرال **نيقريي** حاكم قسنطينة عنه، وهو ما أكده ايضا رأي الجنرال **بيليسيي** دورينو Pélissier De Reynaud أنه "**رجل بمنتهى الخطورة، وأداة مرعبة في البلاد**"[3] ؛ لاسيما بعد تتبع نشاطه في نواحي المسيلة، والأثر الذي بثه بين القبائل (ويمكن أن يكون قد ادعى قبل اعتقاله أن الأمير عبد القادر عفا عنه، وأعاده إلى منصبه[4]).

وبالعودة إلى مضمون رسائل **الحسن** من منفاه فقد بلغ عددها ستة وعشرون (أو 24)، وضمنها أفكاره تجاه المشكل الجزائري، واقترح لها حلولاً وفقًا لقناعاته، وربما يكون من خلالها قد تنصل من ماضيه السابق. ومما اقترحه فيها نجد ما يلي :

---

1 -موسوعة أعلام الجزائر، المرجع نفسه، ص 118.

2 - X. Yacono : Les premiers prisonniers algériens de l'ile Saint Marguerite (1841- 1843), Revue d'histoire maghrébine, № 01, 1974, pp 39- 81.

وانظر أيضا : سعد الله، المرجع السابق، ج07، ص 402- 403.

3- X. Yacono, op. cit, p 56.

4 -موسوعة أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 119.

- إعلان ابن ملك فرنسا ملكًا على الجزائر، وأشار الأستاذ **سعد الله** إلى انه ربما قصد الدوق دومال Dumal الذي سيكون الحاكم العام للجزائر بعد الجنرال **بيجو**.

- ضرورة معرفة الجزائريين والفرنسيين لغة بعضهم البعض.

- ازدواجية القضاء، بحيث يكون لكل طرف قضاة خاصين بهم في المدن وفي كل مكان.

- توصيات بخصوص الجيش، وملكية الأرض، والسير العام لشؤون الجزائر، وذلك تحت السلطة الفرنسية والمساعدة العربية. . الخ[1].

كما حذر من الاهتمام بنشاط الحاج **احمد باي**، وآخرين من زعماء المقاومة. وبعد إطلاق سراحه سنة 1844م ؛ لم نعرف عن نشاطه شيئًا، ولا عن تاريخ وفاته ؛ عدا ما ذكره المؤرخ احمد **دبوز** من امكانية انه قتل مسمومًا.

- **مصطفى بن محمد بن عزوز (1803- 1865م) :**

ولد **مصطفى** بن عزوز بالبرج سنة 1220هـ/ 1803م، تلقى علومه الأولى على يد والده وشيوخ القرية، وأخذ مبادئ الطريقة الرحمانية عن الشيخ **علي بن عمر** الطولقي، بالإضافة إلى انه أخذ عن الشيوخ **محمد الأمير**(احد مشائخ الازهر الشريف)، وابراهيم **الباجوري** المصري، و**محمد بن علي** السنوسي.

وقد تولى **مصطفى** بموجب وصية والده مشيخة الزاوية ؛ لكن بعد وصول قوات الاحتلال إلى بسكرة رحلت العائلة إلى نفطة (سنة 1257هـ/ 1837م)، التي اصبحت على عهد آل **ابن عزوز** مركز اشعاع علمي، خاصة بعد تأسيس مصطفى لزاويته الرحمانية فيها، والتي ألحق بها مرافق لاستقبال المتفرغين لطلب العلم، وعمل على جلب العلماء اليها من مختلف الجهات[2]. وقد عبر عن ذلك الشيخ **ابراهيم خريف** (ت 1356هـ/ 1937م) في كتابه "**المنهج السديد في التعريف بقطر الجريد**" في قوله : "**. . وفي خلال سنة 1257هـ ورد على بلدة نفطة من بلاد الزاب مهاجر القدوة، المرشد، صفوة البررة، وخلاصة الصالحين الخيرة، صاحب المآثر العديدة، والأخلاق الحميدة الشيخ السيد مصطفى بن عزوز البرجي ؛ فاستوطن مع عائلته، وعدد كبير من من أتباعه وأشياعه ؛ فأقبلت عليه البلاد، وهرعت**

---

1 -سعد الله، المرجع السابق، ص 402.

2 -محمد محفوظ : **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ج03، ص 379- 380.

اليه العباد يلتمسون بركته، ويستمدون فيوضاته، ثم أحدث زاويته الشهيرة المشتملة على عدد كبير من المساكن لإيواء الواردين عليه من كل صقع. . وأحدث بها مدرسته الحافلة، وأنشأ بها بيوتا لسكنى المنقطعين لقراءة القرآن وتعلم العلم، وحشر لها العلماء والأعلام من كل جهة ليدرسوا بها فنون العلم على اختلاف مشاربها. . "[1].

وكان **مصطفى** أكثر إخوته علمًا وشهرة، واشتهرت زاويته هاته لاسيما في مجال التعليم ؛ خاصة أن مريديها كثيرا ما كانوا يواصلون مسارهم التعليمي مباشرة بالزيتونة، وبإمكانهم بعدها تولي الوظائف القضائية والتعليمية، ويكفي ان نذكر بعض تلاميذها : **محمد المكي**، و**محمد الخضر حسين** (من أبناء الأسرة)، و**عاشور الخنقي**. . وغيرهم. وأصبحت الزاوية أيضا مركزًا للسياسة، وملجأ للفارين من الاضطهاد الفرنسي بالجزائر ؛ فاحتضنت مثلا الثائر **ناصر بن شهرة**، وشريف ورقلة، ونزل بها **محي الدين** بن الأمير **عبد القادر** سنة 1870- 1871م مناديًا للجهاد. ولم يتراجع بريق الزاوية إلا بعد تحرش السلطات الاستعمارية بها، وتضييقها الخناق عليها في أعقاب إقرار الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881م[2].

ويمكن القول أن زاوية نفطة قد شكلت بفضل جهود **مصطفى بن عزوز** نقطة ارتباط، ومركز تبادل ديني وعلمي بين جنوبي تونس والجزائر، وكذلك محطة عبور نحو الزيتونة أو المشرق ومناطق أخرى، وتواصلت فيها الروابط الجزائرية والتونسية بحكم الجوار الجغرافي، وعلاقات المصاهرة والقرابة، والتزامات الولاء الديني للرحمانية وغير ذلك.

كما اسس الشيخ **مصطفى بن عزوز** زوايا بمناطق اخرى في تونس ؛ كانت اقل شهرة من زاويته الام بنفطة ؛ غير انها حظيت بأعداد التلاميذ والوافدين، وكان لها أكبر الأثر في المحافظة على التعليم الديني ؛ نذكر منها زاوية **توزر**، **القصرين**، **جرجيس**، **جندوبة** وغيرها.

وكان **مصطفى بن عزوز** صاحب شخصية جذابة، ولها فصاحة، ذات بيان وتمكن في العلم والدين، والتصوف وصدق العبادة، وقد قال عنه معاصره

---

1 -نقلا عن : محمد مواعدة : **محمد الخضر حسين حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، 1974م، ص 23.

2 -وصف الأستاذ سعد الله ببلاغة وضع زاوية **ابن عزوز** في نفطة، وانتهى إلى أن **العلاقة بين الدين والتصوف والثورة والجهاد واضحة في عائلة ابن عزوز** حينها. انظر : سعد الله، المرجع السابق، ج04، ص 153.

المؤرخ والوزير **ابن أبي الضياف** كلمات مؤثرة نقتطف منها ما يلي : ". . **أنه كان رحمه الله فصيح اللسان، بليغ البيان في أسرار القرآن، صاحب ذوق رفيع في مقام العرفان، متواضعًا على رفعة هذا الشأن، يرشح وعاؤه بالرحمة والرأفة والحنان، يحب الخير لكل إنسان، داعيًا لعبادة الله بالهداية والإيمان والإحسان، ما شئت من محاضرات أبرار، ومطالع أسرار وأنوار، وزهد أخيار**"[1].

خلف **مصطفى** أبناءه، وساروا على نهجه في نشر الطريقة الرحمانية العزوزية الخلوتية، ومبادئ العلوم الأساسية التي تلقوها، واختار كل واحد منهم منطقة مختلفة للنشاط : **الحفناوي** تولى الإشراف على زاوية أبيه بنفطة، **محمد** أسس زاويته بمدينة القيروان، و**المكي** شارك مؤقتًا أخاه الحفناوي في نفطة، وسنتناول مسيرته الرائدة لاحقًا[2].

ويذكر أن **مصطفى بن عزوز** قد حظي بتقدير رجال السلطة بتونس نظرًا للسمعة الطيبة التي اكتسبها، وانتشار صيته ؛ خاصة وانه قام بتخفيف كثير من أعباء وقيود الطريقة ترغيبًا للناس فيها، ونجح بذلك في اجتذاب أعداد كبيرة إليها[3]، وكان أن عظم المشير الأول **احمد باشا** باي شأنه، وكذا فعل المشير الثالث **محمد الصادق** باي، ومدحه الشيخ **إبراهيم الرياحي** بمدائح شعرية ونثرية.

ولعب **مصطفى بن عزوز** أدوارا سياسية هامة نتيجة تقرب الحكام منه لنفوذه، فطلب منه الوزير الأول التونسي **مصطفى خزنة دار** الإسهام في إخماد ثورة علي **بن غذاهم** (1864م)، وفعلاً قام مصطفى بجولات مكثفة لمناطق الثورة، ونجح في تهدئة النفوس رغم افتضاح أمر المكيدة التي دبرها الباي محمد الصادق ووزيره خزنه دار باستغلال الشيخ **مصطفى بن عزوز** في المخطط الانتقامي من مؤيدي الثورة[4]. وذكر البعض أن علاقة مصطفى **بن عزوز** كانت

1- نقلا عن : ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، 1976م، ج08، ط02، ص 132. وانظر أيضا : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص379- 380.

2 -عد الله، المرجع السابق، ج04، ص 182.

3 -الإضافة إلى تخفيفه من بعض قيود الطريقة الرحمانية الخلوتية، وشكلياتها في تسليك التابع والمريد الجديد؛ أصبح "**العزوزيون**" أو أتباع الطريقة على النموذج العزوزي يميزون أنفسهم بوضع مسبحة بيضاء في أعناقهم، واختلفوا عن الآخرين أيضا في التسليم على بعضهم بالتشابك باليدين لمرتين مختلفتين، وصار الأمر واسع الانتشار بالجنوبين التونسي والجزائري. (انظر : محفوظ، المرجع السابق، ص 380).

4 -كثيرا ما يعذر المؤرخون **ابن عزوز** في إقحامه بالسياسة، وبالأخص في موضوع ثورة **ابن غذاهم**، ويبررون ذلك بحسن نيته، وبعدم تفطنه لخبث الحاكم ومعاونيه. انظر : محفوظ، المرجع نفسه، ص 380.

وطيدة بالبلاط الحاكم في تونس، وقد اجتمع به المشير **احمد باشا** باي في عدة مناسبات مبديًا الثناء والتقدير لشخصه، وقيل انه ندم على تقاربه مع رجال السياسة، وعلى انخداعه بنواياهم[1].

توفي مصطفى **بن عزوز** في آخر ذو الحجة 1282هـ الموافق 14 ماي 1865م، ودفن بزاويته بنفطة. من مؤلفاته نذكر :

- بهجة الشائقين في روضة الأنوار (منظومة في التصوف شرحها ابنه محمد المكي).
- رسالة في سلوك طريق الرحمانية الخلوتية.
- رسالة في مناقب شيخه علي بن عمر الطولقي[2].

• محمد المكي بن عزوز (1857- 1916م) :

هو **محمد المكي بن عزوز** بن مصطفى بن محمد بن عزوز، البرجي السلف، النفطي المولد، الحسني الإدريسي، التونسي تعلمًا، الاسطنبولي مدفنًا. سماه عمه الشيخ محمد المدني بن عزوز بالمكي، وكناه بابي طالب تيمنًا بالشيخ أبي طالب المكي[3].

و**محمد المكي** سليل أسرة كريمة، ومن بيت علم وأدب وعبادة، وآباؤه من أهل العلم والبحث والتصنيف في شتى الفنون والمعارف، ولا غرو أن يسير على منهجهم، وان يمضي على طريقهم. وقد حظي في مساره بالعديد من الألقاب العلمية والدينية مثل : الإمام، العلامة، المحدث، المقرئ، الفلكي، الرياضي الفرضي، الصوفي، المسند الشهير، المتبحر. الخ.

- المولد والنشأة :

ولد **محمد المكي** بن مصطفى بن عزوز في 15 رمضان 1270هـ/ 1857م، والدته ابنة العالم الجليل الشيخ ابن أبي القاسم الإبراهيمي الديسي (ت 1311هـ)،

---

1 -محمد بوذينة : **مشاهير التونسيين**، المطابع الموحدة، تونس، 1992، ط02 منقحة، ص 640- 641.

2- ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ج08، ص 132. وانظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 381. وانظر أيضا : إسماعيل باشا البغدادي : **هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، م06، ص 458.

3 -صاحب كتاب "**قوت القلوب**" (المطبعة العربية، مصر). نقلا عن : عبد الحي الكتاني : **فهرس الفهارس والأثبات وعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج02، ص 856.
وانظر : خير الدين الزركلي : **الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، م05، ط10، ص 109- 110.

وقد نشأ المكي بنفطة التي تلقى بها دروسه الأولى، وتولى والده توجيهه ؛ خاصة أن نفطة وتوزر على ذلك الوقت كانتا مدينتان نشطتان في حركة التدريس والتأليف، وآهلتين بالعلم والعلماء حتى اشتهرتا باسم الكوفة والبصرة[1].

وحفظ الفتى **محمد المكي** القرآن الكريم بعمر لم يتجاوز الإحدى عشرة سنة على يد شيخه السيد **اللخمي بن الصحبي بن الصغير**، واجتهد أيضًا في حفظ المتون، وتلقي أساسيات العلوم المختلفة على يد علماء الجريد من أمثال : عمه **المدني بن عزوز**، الشيخ **النوري بن بلقاسم** النفطي، **إبراهيم البختري** التوزري وغيرهم. وقرأ على الشيخ **قاسم الخيراني** "شرح الشيخ **خالد الأزهري** على الاجرومية"، وشرح "ميارة على ابن عاشر" في الفقه، وقرأ "الرحبية" و"الدرة البيضاء" في علم الفرائض، ومبادئ علم الفلك على شيخه **محمد عبد الرحمان** بن **التارزي بن عزوز** (وهو ابن عمه)، مع كتب ابتدائية أخرى. كما قرأ على الشيخ **النوري بن بلقاسم** النفطي "ألفية ابن مالك" بشروحها، ومختصر "خليل" بشروحه، بالإضافة إلى كتب أخرى، وحضر دروس عمه المدني بن عزوز، وقرأ عليه "شرح الترمذي"[2].

وارتحل محمد المكي سنة 1292هـ إلى العاصمة تونس، والتحق بجامع الزيتونة مركز ومنهل العلوم والمعارف، ومعقل العروبة والإسلام، وهناك استكمل الاستزادة من العلم، والتبحر فيه، ولازم علماء أجلاء كثيرين ؛ أخذ عنهم وأجازوه نذكر من بينهم : العلامة **عمر بن الشيخ** المفتي المالكي بالحاضرة، وقرأ عليه "المحلي على جمع الجوامع" في الأصول، و"الموطأ"، و"مختصر السعد".. الخ، وقرأ "مقامات الحريري" على الشيخ **محمد النجار** المفتي المالكي، وأخذ القراءات السبع رواية ودراية عن شيخه العالم **محمد البشير التواتي**، وأخذ أيضًا عن الشيخ **محمد الشاذلي بن صالح**، وشيخ الإسلام **احمد بن خوجة**، والشيخ **سالم بوحاجب**، والشيخ **مصطفى رضوان**. وغيرهم. ومن الكتب التي أقرأها أيضا بالزيتونة : "شرح

---

1 -محفوظ، المرجع السابق، ص 383.

2 -عبد الرحمان الجيلالي : ترجمة العلامة الاستاذ الشيخ المكي بن عزوز، **الشهاب**، م07، 1931م، ج01، ص 662. (وانظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 383).

الدردير على خليل"، و"البخاري" بأحد شروحه، و"الأربعون النووية"، و"الجامع الصغير"، و"الهمزية بجامع الهوا" وغيرها كثير[1].

وكان جامع الزيتونة آنذاك بمثابة الحصن المنيع أمام المشروع الاستعماري الفرنسي بالمغرب الاسلامي، وهو المشروع الذي استهدف العلماء والتلاميذ والخريجين على السواء، وبلاشك فان **محمد المكي** قد أدرك بذكاء دوره في تلك المواجهة الحتمية ؛ لاسيما أن الماضي القريب لأسرته كان ماثلا أمام عينيه، وكيف أن اضطرار والده للرحيل من موطنه الأصلي بالجزائر كان بسبب الاستعمار. وقد قيل عنه بهذا الخصوص : "**كان شهمًا غيورًا شجاعًا ؛ لم تقتله المدنية، ولم يستولِ عليه بطنه فيخنع للاستعمار كالعلماء الضعفاء المخنثين الذين لا يملكون من جلال العلم إلا العمائم التي تشينها رؤوسهم المنكسة لأعداء الدين والوطن**"[2].

وتخرج **محمد المكي** من الزيتونة بإحرازه شهادة التطويع، وذلك بعدما اكتسب أرضية صلبة في العلوم النقلية والعقلية، في الأصول والفروع ؛ الأمر الذي أهله بسهولة ويسر لتولي مشيخة الطريقة بعد وفاة والده، ولإعتلاء منصب الفتوى بنفطة سنة 1297هـ/ 1883م، ووظيفة القضاء بها ؛ غير أنه لم يلبث أن باشر التدريس بالزيتونة بعد أن أذن له الأساتذة بذلك، ووافقوا بالإجماع على مؤهلاته العالية والمتكاملة، أو كما قال الشيخ عبد الرحمان **الجيلالي** : ". . **عندها أذن له الأساتذة في التدريس فتصدى لذلك، ونثر الدر النفيس ببراعة وإفصاح واقتدار على حسن الإيضاح ؛ مع سعة أخلاق تنشط الطالبين، وتنشئ فيهم الرغبة في البحث المثمر للتحصيل المبين، محلى ببراعة يراع في إنشاء التقاريض والترسلات، على تباين المقاصد واختلاف المقامات**. . "[3]. أي أن دروسه كانت مثالاً في الفصاحة والغزارة المعرفية، وتميزت بجمال الأسلوب والتشويق، وأقبل عليها التلاميذ من كل حدب وصوب، وتخرج على يديه الطلبة من تونس والجزائر وطرابلس الغرب واسطنبول، وانتشر هؤلاء التلاميذ في الحواضر والبوادي، ودان له الكل في المدن التي زارها، وحاضر بها، ولم يقنع البعض إلا

---

1 -الجيلالي، المرجع السابق، ص 665.

2 -دبوز، المرجع السابق، ص 146. وعن أهمية جامع **الزيتونة** في تخريج النخبة؛ انظر : حمادي الساحلي : **فصول في التاريخ والحضارة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط01، ص ص 410- 413.

3 -الجيلالي، المرجع السابق، ص 664.

بالانتساب إليه ولو بالإجازة، وكان من هؤلاء ابن أخته **محمد الخضر حسين**، و**عبد العزيز الثعالبي** وآخرون[1].

وقد قيل في وصف مكانته الكثير ؛ ننقل من ذلك ما كتبه عنه صديقه ومعاصره الشيخ **عبد الحي الكتاني** : "**إن هذا الرجل كان مسند افريقية ونادرتها، لم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناء منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة، ومزيد تبحر في بقية العلوم، والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة، وكثرة الشيوخ، إلى طيب منبت وكريم أرومة، وكان كثير التهافت على جمع الفهارس وتملكها ؛ حتى حدثني بزاوية الهامل الشمس محمد بن عبد الرحمان الديسي الجزائري الضرير عنه أنه اشترى "ثبت السقاط" وهو في نحو الكراسين بأربعين ريالاً، وهذا بذل عجيب بالنسبة لحاله، وأعجب ما كان فيه الهيام بالأثر والدعاء إلى السنة مع كونه شيخ طريقة، ومن المطلعين على الأفكار العصرية، وهذه نادرة النوادر في زماننا هذا الذي كثر فيه الإفراط والتفريط، وقل من يسلك فيه طريق الوسط، والأخذ من كل شيء بأحسنه، عاملاً على قوله تعالى : (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)**"[2].

- **اهتماماته** :

تلقى **محمد المكي** شتى أنواع العلوم العقلية والنقلية وبرع في تلقينها، وكانت عنايته كبيرة بدراسة الأسانيد والروايات والقراءات والترجيحات الفقهية والأصولية، كما برز اهتمامه بالنظم، ودراسة اللغة تمامًا بقدر اهتمامه بدراسة العلوم الشرعية، فهو محدث، مقرئ، فقيه، أصولي، أديب. . ، وقد أحرز السبق في كل هذه العلوم[3].

وعُرف عن محمد **المكي** شغفه باقتناء الكتب التي كانت تصله خاصة من تونس والجزائر، وجمع في مكتبته رصيدًا زاخرًا بالنفائس والنوادر في مختلف العلوم والفنون المتداولة والغريبة، بروايات شتى، وطبعات عدة قل

---

1 -الجيلالي، المرجع نفسه. (وانظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 383).
2 -نقلا عن : الكتاني، المصدر السابق، ص 856.
3 -انظر : محمد المكي بن عزوز : **هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك**، تحقيق : نفل بن مطلق الحارثي، دار طيبة للنشر، السعودية، 1996، ط01، ص 17.

وجودها عند شخص واحد، ولم يستكثر أبدًا البذل لاقتناء الكتب والمخطوطات، وأضاف ما جمعه الى ما آل إليه من تراث أبيه وجده[1].

ونتيجة لما حققه من اجتهاد ومثابرة في سبيل العلم وتلقينه ؛ امتدحه كثيرون من أدباء عصره بقصائد شعرية ونثرية[2]، وحلاه شيخ الإسلام بمكة المكرمة الشيخ **احمد دحلان** في إجازته له بقوله : "**قد اشتهر في الأقطار بلاشك ولا مين ؛ لاسيما بالحرمين الشريفين بالعلم والعمل ؛ نخبة من العلماء والأعيان، وخلاصة الأعلام والأعيان من ذوي العرفان، سراج افريقية ؛ بل بدر تلك الأصقاع الغربية : الأستاذ الكامل، جامع ما تفرق من الفضائل والفواضل، مولاي السيد الشريف محمد المكي المفتي المالكي بايالة تونس**"[3].

- المناصب التي تولاها :

تولى **محمد المكي** منصب الفتوى بمسقط رأسه نفطة سنة 1297هـ/ 1883م - كما اشرنا سابقاً- وعمره لم يتجاوز عندها ستة وعشرون سنة، وذلك من غير طلب ولا سعي منه للحصول على المنصب، كما ولي بالإلزام والإلحاح وظيفة القضاء بها عام 1305هـ، ورغم انه لم يلبث فيها طويلاً ؛ إلا انه وقف لنصرة المظلومين، وقهر المبطلين، وتصدى لإقامة الحدود الشرعية بقدر الإمكان[4].

وفي سنة 1307هـ/ 1888م ذهب في رحلة إلى الجزائر، وهناك التقى بعلمائها الرواد آنذاك من أمثال الشيخ المحدث **علي بن الحفاف** مفتي المالكية بمدينة الجزائر، وقد أخذ عنه "صحيح البخاري"، ورواه عنه بالسند العالي المشهور برفقة خاله (خال محمد المكي) الشيخ **أبو القاسم الحفناوي** مفتي المالكية، كما اتصل بالشيخ **محمد بن بلقاسم** صاحب زاوية الهامل، وتبادل

---

1 -الجيلالي، المرجع السابق، ص 664. (وانظر : محفوظ، المرجع السابق، ص 383).

2 - نذكر مثلا ما قاله عنه شعرا عالم الطائف الشيخ **عبد الحفيظ القاري** :

من نرتجي للدين يكشف غمة ... عمت على الإسلام بالإغماء.
غير **ابن عزوز** إماما للهدى ... بالحق يفتي لا يأخذ رشاء.
من مغرب في مشرق يبدي السنا ... في المطلعين له ضياء كذكاء.
إن كان فينا قائم فهو الذي ... بالعلم يرقى ذروة الجوزاء.

(انظر : الكتاني، المصدر السابق، ص 857).

3 - الجيلالي، المرجع السابق، ص 665.

4 - الجيلالي، المرجع نفسه، ص 665.

معه المعارف، وتزوج من نواحي بوسعادة[1]. وقد أجيز **محمد المكي** من طرف عدد كبير من الشيوخ، أحصاهم معاصره الشيخ **الكتاني** بثمانين، ولاشك أن هذا العدد الهائل من المجيزين يعد أمرًا نادرًا في ذلك الوقت.

وبعد فترة من التدريس بالزيتونة (ما بين 1309- 1312هـ) رحل إلى طرابلس الغرب (ليبيا)، وأقام بمدينة بنغازي لمدة شهرين تقريبًا، نفع خلالها أهلها بعلومه، ثم اختلفت الروايات بشأن مساره، حيث ذكر البعض انه حل بمصر، فالحجاز، فالشام، ومنها إلى الأستانة (اسطنبول) التي وصلها سنة 1313هـ/ 1894م، وهناك من أكد أنه انتقل من طرابلس الغرب عبر الباخرة باتجاه جزيرة كريت ؛ حيث نزل بضيافة قاضيها الشيخ **البغدادي**، ومنها قصد مدينة أزمير التي بقي بها لشهرين، ثم توجه إلى اسطنبول التي لقيه بها نخبة من العلماء والأعيان، منهم : **محي الدين الجزائري** ابن الأمير عبد القادر، والشيخ **محمد ظافر**، والشيخ **عبد الرحمان الجزولي**، والشريف **عبد الإله** باشا، وغيرهم من الذين أكرموا ضيافته، واستقبلوه بالحفاوة والإكرام[2].

أما عن سبب ارتحال **محمد المكي** أساسًا من تونس فيرجع إلى عاملين اثنين : **الأول** وهو علمي بحت يتصل برغبة الشيخ في الاستزادة من العلوم، والتعرف على المنابر الدينية والعلمية في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، و**الثاني** يرتبط بالمضايقة التي أصبح يتعرض لها على يد السلطات الاستعمارية وأذنابها ؛ سواءً بتونس أو بالجزائر، ومنذ توليه التدريس بالزيتونة فرضت عليه الرقابة اللصيقة، خاصة أن اسم عائلته حمل دلائل الوطنية وروح الثورة ضد المحتل، كما انه في إحدى رحلاته السنوية المنتظمة للجزائر أفتى مرة بتحريم استيراد كل المواد الدسمة من فرنسا كالصابون والشمع والشحم وغيرها، وكان يقصد من وراء ذلك مقاطعة ومحاربة فرنسا اقتصاديًا، وكان في دروسه

---

1 - يمكن أن تكون ابنة أو قريبة الشيخ **ابن بلقاسم**. انظر : الجيلالي، المرجع نفسه، ص 665.
وقد أنجب أحد أبنائه المدعو **الكامل** بطولقة، ويذكر أن هذا الأخير قد فضل الاستقرار بالجزائر بعد تخرجه من الزيتونة، لكن السلطات الاستعمارية راقبت انتشار دعوته جزائري بحذر ؛ خاصة أن سمعة جده **مصطفى** وأبيه **المكي** لم تكن تخفى على العيان، وقد أنشأ زاوية للرحمانية بسوق أهراس التي كان قاضيها جده لأمه، واستقر هناك. ومع اندلاع حرب طرابلس نشط الكامل بسرية في جمع التبرعات للمجاهدين، واستمرت الرقابة الفرنسية عليه باندلاع الحرب العالمية الأولى.
(انظر لأكثر تفصيل : سعد الله، المرجع السابق، ج04، ص 182- 183).
2 -الجيلالي، المرجع السابق، ص 666. (وانظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 384).

يحث على الأخذ بأساليب العلم الحديث، وينصح بالتيقظ لأية مكيدة قد تستهدف الدين والوطن ما جعله على قائمة المطلوبين للجهاز الامني الاستعماري[1].

وباسطنبول لقي **محمد المكي** كل الترحاب، وبدأ بها دروسه ابتداءً من سنة 1313هـ/ 1894م، أقرأ فيها "شرح ابن حجر على البخاري"، و"المحلى على جمع الجوامع"، و"صحيح مسلم"، و"مقامات الحريري"، و"ألفية ابن مالك"، و"رسالة القيرواني" في الفقه، و"بلوغ المرام"، و"الكافي"، و"شرح الاظهار" في النحو، كما شرح المعلقات، وقدم دروسًا في الفلك والجغرافيا، والسيرة النبوية، وفي مختلف علوم البلاغة واللسان[2].

وفي سنة 1324هـ/ 1905م عين مدرسًا للحديث الشريف بكلية "دار الخير" التي سميت لاحقا بـ "دار الفنون"، ثم سمي سنة 1331هـ مدرسا أيضا بـ "مدرسة **الواعظين**" الشهيرة، بالإضافة إلى اشتغاله بإلقاء محاضرات أخرى خارج الدروس الرسمية، أبدى فيها قدرة عجيبة على الجمع بين كل تلك المشاغل، وتدريسه إلى جانب اللغة العربية باللسان التركي الذي أتقنه بسرعة. ويذكر أنه بعد استقراره باسطنبول نقل معه إليها خزانة كتبه كلها، والتي تمكن من إثرائها وتوسيعها، وتلك هي طبيعته المحبة للمطالعة والاطلاع التي فرضت عليه الوفاء للعلاقة بالكتب والمخطوطات[3].

واستمر الشيخ **محمد المكي** في إلقاء الدروس على ذلك النحو الشاق مع ملازمة التأليف إلى غاية إصابته بالمرض (الشلل)، ولم يلبث ان توفي يوم الخميس الثاني صفر 1334هـ/ 1916م، ودفن بمقبرة يحي أفندي الواقعة بحي "اوته كوي" الراقي ومسكن أبناء السلاطين والأمراء، وصلى عليه في جنازة رسمية الشيخ **عبد الرحمان التقادي** بحضور كبار رجال الدولة، وعظماء رجال الأمة والعلم، وأقيمت تأبينيته وسط أعداد غفيرة من التلاميذ والعلماء والحشود من العامة، ورثوه بقصائد كثيرة تصلح أن يحتويها مجلد، ندرج منها شهادة صديقه **عبد الحي الكتاني** ؛ حيث قال : ". . **طالت مكاتبتي ومراسلتي معه، واتصالي**

---

1 -دبوز، المرجع السابق، ص 146- 147.

2 -الجيلالي، المرجع السابق، ج02، ص 724.

3 -الجيلالي، المرجع نفسه، ص 724- 725. (وانظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 384).

به إلى أن مات، بحيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بيني وبينه لخرجت في مجلدة متوسطة، وكلما تذكرت موته أظلمت الدنيا في عيني"[1].

- **مؤلفاته** :

يعد الشيخ محمد **المكي بن عزوز** من أكثر التونسيين والجزائريين تأليفاً في القديم والحديث، ولا يقاربه في كثرة المؤلفات من معاصريه ؛ إلا الشيخ **محمد المرزوقي**. وقد تنوعت تلك المؤلفات في مجالات عدة : القراءات والأسانيد والفقه والفلك والتصوف، والتجويد والحديث والتفسير، والأدب والتاريخ والميقات والشعر. . الخ. ونذكر مما هو مطبوع ما يلي[2] :

1- الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية[3].
2- إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان[4].
3- إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.
4- أصول الطرائق وفروعها وسلاسلها.
5- الانباه بمعنى الحب في الله والبغض في الله.
6- برق المباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم.
7- تلخيص الأسانيد[5].
8- تذكرة المنصفين في أن المكتشفات الجديدة لا تكذب الدين.
9- التفريح بحل الإشكال في صلاة التراويح.
10- التفهم لمن جهل معنى القلب السليم.
11- التقرار المهذب[6].
12- الثبت الجامع[7].
13- الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب[1].

---

1 -الكتاني، المصدر السابق، ص 861.
2 -الكتاني، المصدر نفسه، ص ص 857- 859. (وانظر خاصة : محمد المكي بن عزوز : **رسائل ابن عزوز**، جمع وتحقيق. علي الرضا التونسي، د. د، 1984، ط01، ص 425- 429).
3 -في القراءات وهو عبارة عن أسئلة رفعها له الشيخ **عبد الحفيظ القاري**، والتمس الجواب عنها، طبع بالمطبعة الحميدية باسطنبول (1323هـ). (انظر : الكتاني، المصدر السابق، ص 860).
4 -في القراءة. انظر : إسماعيل باشا البغدادي : **إيضاح المكنون في الذيل عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، م01، ص 60.
5 -وهو الثبت المختصر.
6 -وهو شرح **للجوهر المرتب** (في الهيئة)، طبع بتونس (1298هـ).
7 -وهو جامع لأسانيده وإجازاته في كل فن.

14- الدراية بما ليس في رأسه آية[2].
15- الذخيرة السنية في الخزانة المدنية.
16- الرحلة الجزائرية.
17- رسالة في أصول الحديث[3].
18- السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني[4].
19- عمدة الإثبات في الاتصال بالفهارس والأثبات.
20- الفرائد في شرح بطاقة العقائد[5].
21- القول القيم في حال ابن تيمية وابن القيم.
22- مجمع الأسانيد[6].
23- مقامة المفاخرة بين الصيف والشتاء.
24- مناقب الرجال الخلوتية.
25- هيئة الناسك في أن السدل في الصلاة ليس مذهب الإمام مالك[7].

- مكانته العلمية :

إن رجلاً بمثل هذا القدر العظيم من العلم في شتى فنونه ومجالاته ؛ لهو أجدر بكل تلك الألقاب التي سمي بها ، وهو لم يكتف بقدر يسير من أنواع

---

1 -طبع بالمطبعة الرسمية بتونس (1295هـ/ 1878م)، وقد حققه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي.

2 -هو عبارة عن رسالة صغيرة طبعت بالمطبعة الرسمية بتونس (1295هـ/ 1878م)، وهي نظم من البحر الطويل تحتوي على اثنين وأربعين (42) بيتا، مطلعه : أصدر رحمة الله ربي ليقبلا نظامي وأرجو العون منه ليكملا. (انظر : محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 386).

3 -طبعت باسطنبول (1332هـ). لكن **محمد محفوظ** ذكر غير ذلك. (انظر : محفوظ، المرجع السابق، ص 387).

4 -عبارة عن رد على رسالة **القرماني** (الاسم المستعار **لأبي الهدى الصيادي** الرفاعي) الذي طعن في نسب الشيخ **عبد القادر الجيلاني** وكراماته، وطبعته المطبعة الرسمية بتونس (1309هـ/ 1894م).

58 يعتبر أوسع وأفيد ما كتب في مجاله، واحتوى خمس (05) كراريس، ألفه برسم الشيخ **عبد الحي الكتاني** سنة 1330هـ/ 1912م باسطنبول، ولعله آخر ما ألف. وقد تضمن ذكر كل الذين أجازوه، وعددهم كما سبق ثمانين، منهم اثني عشر بالمراسلة، والباقي شفاهة. ورتب فيه صاحبه الأثبات بحسب ترتيبها الأبجدي بناء على اقتراح الشيخ **الكتاني**، ثم أدرج إسناده العالي في القراءات. وقد قال **الكتاني** في حق هذا الكتاب ما يلي : "**بوقوفك على العمدة المذكورة تعلم وتتحقق أن الأستاذ ابن عزوز كان فذ مصره في سعة الرواية والاعتناء، وعلة الاهتمام والهمة، وان الصقع التونسي ما أنجب مثله في هذا الباب منذ أحقاب، ولكنه ممن ضيعه قومه**". (انظر : الكتاني، المصدر السابق، ص 878- 879).

5 -"**بطاقة العقائد**" من تأليفه.

6 -وهو ثبته الكبير.

7 -ألفه سنة 1320هـ، وطبع بمصر سنة 1327هـ.

العلوم بل بلغ فيها نهاية الفهم، وظهرت عنايته وبراعته في آن واحد في التفقه والتبليغ، في النقل والتفسير، وبلغت مؤلفاته الآفاق، وتخاطفتها الأيدي والأعناق.

ورغم أن الشيخ **المكي** قد عاصر العديد من العلماء والأئمة ؛ إلا أنه كان المعروف بينهم، وذكره متواصل بينهم، وكان منهم من عرفه والتقاه، ومنهم من سمع عنه، وأمل برؤيته، ولاشك أنه امتاز بتواضع العلماء ؛ لأنه ارتبط بصداقات كثيرة، ونسج علاقات إنسانية وعلمية عديدة مع النخبة من العلماء والتلاميذ والأتباع، وكذلك مع العامة من الناس، وكلما ذكر الشيخ في مجالسهم ؛ إلا ونوهوا بكريم مقامه، وعظيم شأنه.

ومما نقله الشيخ عبد الحميد **بن باديس** عن رسالة الشيخ **المكي** إلى الشيخ حمزة **بوكوشة** ما يلي : "**الاحتجاج على المخطئين من جميع الناس، والشريعة المحمدية محفوظة من التبديل والتغيير، وهي مبنية على الأدلة والحجج ؛ فإذا أخطأ فيها أحد من علمائها وصلحائها، أقام الله من شاء من خلقه وعلمه، وألهمه الحجة التي يتميز بها خطأ من أخطأ، وقد قال الله تعالى "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم"، وقال "ولينصرن الله من ينصره"، ومنذ الإسلام لم تنهزم راية محق في المناظرة قط تصديقا لوعد الله المصرح به في الآية، وقال تعالى "وان جندنا لهم الغالبون". بتاريخ 08 شعبان 1328هـ**". وكتبت **البصائر** بدورها مطولا عن مكانة الشيخ **المكي**، ووصفت "**إن القليل من يجهل الشيخ المكي بن عزوز، وكونه عالمًا عظيمًا، وابن زاوية جزائرية كبيرة.** . "[1].

الخاتمة:

يتبين من خلال دراسة السير السابقة ان عائلة **ابن عزوز** تكون قد توارثت حب العلم والدين والشجاعة والوطنية، وأن أفرادها قد اقتحموا مجالات عدة، واحتلوا فيها الريادة، وهذا ما دفع بالسلطات الاستعمارية لمراقبة أي نشاط يتبناه هؤلاء سواء بالجزائر أو بتونس أو خارجهما، وتوجست خيفة من أي دعوة يمكن أن يتبنوها باسم الدفاع عن الدين أو الوطن.

إن الهدف من إعطاء لمحة عن سيرة ونشاط أبناء **ابن عزوز** هو تتبع ورصد ما قام به أفراد الأسرة ؛ بناءً على ما توفر من معلومات للوصول إلى التعريف

1 -**البصائر**، العدد 159، 1939/03/31م.

بالرصيد العلمي والديني المتوارث بين أفرادها، وتبيان ملامح الحس الوطني، والبعد الجهادي اللذين تمتعوا بهما في التكوين العائلي. ويعطينا ذلك فكرة نموذجية عن نشاط وجهاد الأسر الجزائرية والمغاربية المتواصل، ويحيلنا كذلك إلى البحث في مساهماتهم الثرية لمواجهة مختلف التحديات المفروضة.

كما أن هذه النماذج المدروسة تعد بمثابة عينة من توطد أواصر العلاقات الاجتماعية والإنسانية والعلمية بين القطرين الجزائري والتونسي، والتفاف تلك العلاقات التاريخية العميقة التي لا ينكرها عاقل.

بيبلوغرافيا :

• عبد الرحمان **بن الحاج** : **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز**، دار النجاح، الجزائر، د. ت.

• أبو القاسم **الحفناوي** : **تعريف الخلف برجال السلف**، ج02، موفم للنشر، الجزائر، 1991.

• أبو القاسم **سعد الله** : **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج04، ط خاصة.

• **موسوعة أعلام الجزائر (1830- 1954م)**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

• محمد **بن عزوز** : **قواطع المريد**، جمع وتقديم : كمال عجالي، منشورات ارتيستك، الجزائر، . 2007

• محمد علي **دبوز** : **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ج01، ط02.

• محمد **خير الدين** : **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ت، ج01.

• احمد **باي** : **مذكرات**، دار الطباعة والنشر، الجزائر، د. ت.

• محمد محفوظ : **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ج03.

• محمد **مواعدة** : **محمد الخضر حسين حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، 1974م.

• ابن أبي **الضياف**، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار التونسية للنشر، 1976م، ج08، ط02.

• محمد **بوذينة** : **مشاهير التونسيين**، المطابع الموحدة، تونس، 1992، ط02 منقحة.

• إسماعيل باشا **البغدادي** : **هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، م06.

• عبد الحي **الكتاني** : **فهرس الفهارس والأثبات وعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ج02.

• خير الدين **الزركلي** : **الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، م05، ط10.

• عبد الرحمان **الجيلالي** : ترجمة العلامة الاستاذ الشيخ المكي بن عزوز، **الشهاب**، م07، 1931م، ج01.

• حمادي **الساحلي** : **فصول في التاريخ والحضارة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

• محمد المكي بن عزوز : **هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك**، تحقيق : نفل بن مطلق الحارثي، دار طيبة للنشر، السعودية، 1996، ط01.
• محمد المكي بن عزوز : **رسائل ابن عزوز**، جمع وتحقيق. علي الرضا التونسي، د. د، 1984، ط01.
• إسماعيل باشا **البغدادي** : **إيضاح المكنون في الذيل عن أسامي الكتب والفنون**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، م01.
X. Yacono : Les premiers prisonniers algériens de l'ile Saint Marguerite (1841- 1843), Revue d'histoire maghrébine, № 01, 1974, pp 39- 81.
• **البصائر**، العدد 159، 1939/03/31م.